بقلم : بسام القريشي

ظلال الحب

بين الحقيقة و الخداع

ظلال الحب

قصة قصيرة بقلم الاستاذ بسام القريشي

المدينة الغارقة في الأسرار

على أطراف مدينة صغيرة، ملتصقة بمياه البحر الهادئة، كان الزمن يبدو وكأنه توقف. البيوت القديمة كانت تقف شامخة رغم تصدعاتها، مثل حكايات منسية تنتظر من يقرأها. في زاوية أحد الشوارع شبه الخالية، وقف مقهى قديم، تملؤه رائحة القهوة الممزوجة برائحة الذكريات. خلف زجاج نافذته المشققة، كانت ليلى، شابة في أواخر العشرينيات، تنظر إلى الأمواج، عيناها مليئتان بحزن عميق.

منذ وفاة والديها في حادث غامض قبل سنوات، أصبحت ليلى تائهة في هذه المدينة التي لا تزال تحمل أسرارًا لم تجرؤ على كشفها. عملت في المقهى لتغطية نفقاتها، لكنه كان أيضًا ملاذها من الوحدة. كان لها روتين يومي لا يتغير: صباح من الابتسامات المصطنعة، ومساء تغوص فيه في أحاديث سطحية مع الزبائن.

في مساء رمادي، وبينما كانت تمسح إحدى الطاولات، دخل رجل غريب. كان طويلاً، يرتدي معطفًا بنيًا طويلًا وقبعة سوداء تُخفي نصف وجهه. عيناه الداكنتان كانتا مثل بوابة إلى عاصفة لا تهدأ. حين مر بجانبها، شعرت ليلى ببرودة غريبة تخترق المكان.

بداية الغموض

جلس الرجل عند الطاولة القريبة من النافذة دون أن يطلب شيئًا. لوهلة، خيّل لليلى أنه يراقبها، لكنها لم تهتم كثيرًا. بعد دقائق، اقتربت منه بابتسامة مترددة وسألته: "هل يمكنني مساعدتك؟"

نظر إليها بنظرة عميقة وأجاب بصوت منخفض: "قهوة سوداء... بدون سكر."

كانت كلماته بسيطة، لكنها تحمل نبرة توحي بشيء أكبر. بعد أن وضعت الكوب أمامه، سألها بهدوء: "هل تعملين هنا منذ فترة؟"

ردت ليلى وهي تشعر بغرابة سؤاله: "نعم، منذ سنوات."

ابتسم ابتسامة خافتة وقال: "هذا المكان يحمل ذكريات أكثر مما يبدو."

شعرت ليلى بشيء غريب. كان هذا الرجل مختلفًا عن كل من دخل المقهى. لم يكن مجرد زبون عابر.

التعقيد

على مدار الأيام التالية، أصبح كريم، كما أخبرها لاحقًا، زبونًا دائمًا. لم يكن يتحدث كثيرًا، لكنه كان دائمًا يجلس في نفس الطاولة، يراقب الشارع بصمت. بمرور الوقت، بدأ الحديث بينهما يصبح أكثر وديّة. ومع ذلك، كان دائمًا يتجنب الحديث عن نفسه.
"أنا مجرد عابر سبيل"، كان يقول بابتسامة غامضة كلما حاولت معرفة المزيد.

ذات ليلة، وبينما كانت تغلق المقهى، لاحظت سيارة سوداء متوقفة في الشارع. داخلها، كان يجلس رجل غريب يرتدي نظارات سوداء. شعرت ليلى بشيء من القلق، لكن كريم قلل من أهمية الأمر عندما أخبرته: "لا تقلقي. ربما مجرد صدفة."

الحب وسط العاصفة

بدأت ليلى تشعر بشيء مختلف تجاه كريم. شيء فيه جذبها رغم الغموض الذي يحيط به.
ذات ليلة، وبينما كانا يتحدثان بعد ساعات العمل، اقترب منها وقال:
"أريدك أن تعرفي أنني لست هنا بالصدفة، لكن ليس كل شيء كما يبدو."

قبل أن تسأله عما يعنيه، دخل رجل آخر إلى المقهى وألقى ورقة على الطاولة أمام كريم. تغيرت ملامح كريم فورًا، ونهض مسرعًا قائلاً: "يجب أن أذهب." بعد مغادرته، لم تستطع ليلى منع نفسها من إلقاء نظرة على الورقة. العبارة التي قرأتها كانت كافية لجعل قلبها يتسارع:
"العصابة تتحرك الليلة."

الحقائق المؤلمة

اختفى كريم لأيام، وتركت غيبته فراغًا غريبًا في حياة ليلى. عندما عاد، بدا مختلفًا—مرهقًا ومهمومًا. جلس في نفس الطاولة لكنه لم يتحدث كثيرًا.
"أين كنت؟" سألته ليلى بقلق.
نظر إليها وقال بهدوء: "في مكان كنت أتمنى ألا أعود منه."

بعد لحظة صمت، تابع: "أنا لست الشخص الذي تظنينه. عملي مليء بالأسرار والخطر. العصابة التي أتعقبها... تعرف الآن أنكِ قريبة مني."

كانت كلماته صادمة. "لماذا؟ ما علاقتي بكل هذا؟" سألت ليلى، لكنها لم تجد إجابة مريحة.

المواجهة

ذات ليلة، عثرت ليلى على صورة قديمة لوالدها وشقيقها عصام مع رجل غريب. تعرفت على الرجل لاحقًا من شاشة الأخبار: إنه زعيم العصابة التي يطاردها كريم. أخبرت كريم بما وجدته، ليخبرها أن هذا يغير كل شيء.
"إذا كان شقيقك متورطًا، فهو في خطر كبير. علينا أن نتحرك بسرعة."
قادها كريم إلى مصنع مهجور على أطراف المدينة، حيث اشتبكا مع العصابة. وسط الفوضى، ظهر عصام.
"عصام؟ ماذا تفعل هنا؟!" صرخت ليلى، لكنه لم يجب. قبل أن يقترب منها، أصيب برصاصة وسقط أرضًا.

وداع بلا عودة

في اللحظات الأخيرة، حاولت ليلى وقف نزيف شقيقها، لكنه كان يعرف أن النهاية قريبة. قال بصوت مبحوح: "لم أرد أن تعرفي. كنت أحاول حمايتك... سامحيني."
في تلك اللحظة، اقترب كريم وقال: "علينا أن نغادر الآن!" لكن عصام أغمض عينيه إلى الأبد.

الخاتمة: ذكريات الكرسي الفارغ

بعد القبض على العصابة، قررت ليلى مغادرة المدينة. المقهى الذي جمعها بكريم أصبح مكانًا للألم. كريم بقي في المدينة، يجلس يوميًا في نفس الطاولة، ينظر إلى الكرسي الفارغ أمامه.

كتب في دفتر ملاحظاته: "الحب ليس مجرد شعور. إنه ظل يلازمنا، يذكرنا بمن فقدنا وبما لم نستطع حمايته."

رسالة القصة:

بعض القصص لا تُنسى، لكنها تعلمنا أن نبحث عن النور وسط الظلام.

النهاية